أصل وقاعدة فهم الكتاب المقدس
فتـــح ذهنهم ليفهموا الكتب

مدخل عام للكتـــــــــاب المقـدس

Aymn Fayek
Aymonded

الفهـــــــــــــــرس

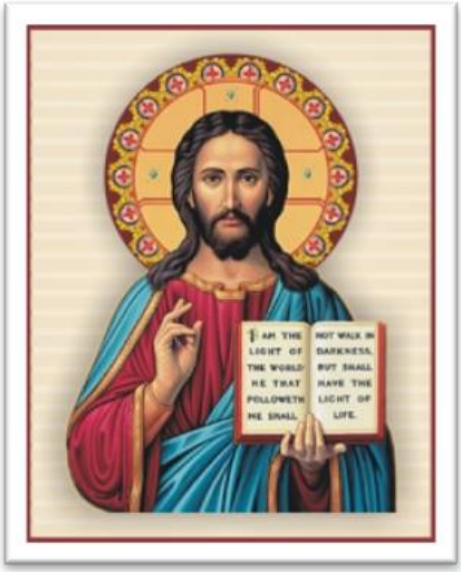

1 – أصول شرح الكتاب المقدس – تمهيد 3
2 – إعلان الكتاب المقدس الشامـــــــل 4
❖ تمهيـــــــــــــــــــــــــد 5
❖ أولاً: إعلان الكتــاب المقدس 5
❖ ثانياً: الإعلان المتـــــــــــدرج 7
❖ ثالثاً: الوحي الإلهي والإعــلان 9
+ معنى الوحي + 10
3 – الكتب المقدسة ومحور التعليم فيهــا 13
❖ أولاً: التعليـــــــــــــم المسيحـــــــي 14
❖ ثانياً: معنى كلمة (تعليم) في الكتاب المقدس 15
4 – الكتب المقدسة وتسمية الكتاب المقدس 17
❖ أولاً: تسميـــــــــــة العهد القديم 18
❖ ثانياً: قانونيـــــة الأسفار المقدسة 18
❖ ثالثاً: التقسيم اليهودي للعهد القديم 19
○ 1: ما هي أسفار موسى الخمســـة ؟ 20
○ 2: تسمية الأسفار الأولى – التوراة 20
❖ رابعاً: الرسالة الروحية لأسفـــار موسى 21

Aymn Fayek

1 تمهيـــــــد
أصول شرح الكتاب المقدس

الكتاب المقدس ليس بمجرد قراءته أو دراسته حسب القدرات والإمكانيات العقلية، تعطي القدرة لأي إنسان أن يشرح ويفسر كيف ما شاء وحسب ما يتأمل أو يدرس من لُغات وقواميس وفهارس ومعاجم متنوعة ومختلفة مهما ما كان له من قدرات عقلية جبارة وفزة، لأن التفسير والشرح هنا ليس للناس ولا لأفكارهم بل لأقوال الله ونطقه الخاص، لأننا في الكتاب المقدس لا نعرف كلام الناس وخبراتهم بل إرادة الله وقصده، لأن الله يُعلن فيه عن مشيئته وإرادته، وهو الوحيد فقط الذي يُحرك من يكتب أو يعلن ماذا يُريد، لذلك هو وحده المسئول فقط أن يوصل فكره وإرادته بشخصه لكي يعرفها الإنسان ليعيش ويحيا بها، لذلك فأن موهبة الشرح والتفسير تُعطى بالروح القدس، روح الإعلان والقوة للإنسان، بعد بلوغه لمستوى الروح وإدراك ما لا يُدرك بالفكر الدماغي، وهذه الهبة لا تُأخذ عنوة أو بقدرته الشخصية، بل هي هبه وعطية من الله، موهبة من مواهب الروح الواحد.

لأن شرح نصوص الكتاب المقدس ليست مجرد تأملات وأفكار حسب مفهومنا الخاص وفلسفتنا وإدراكنا العقلي، لئلا يُصبح تأويل للكلام على خلاف القصد الأساسي منه، وإظهار المعنى حسب رأينا الشخصي وقوة ملاحظتنا الخاصة، فيصير مجرد إظهار ما هو ظاهر أمامنا من كلمات ندرسها ونفهمها بمفهومنا الإنساني الخاص الذي يختلف تماماً من عقلية شخص لشخص آخر، ويختلف مع اختلاف الإحساس والعُمر والخبرة، وفي هذه الحالة سنخرج حتماً عن النص بإظهار ما لنا نحن من إمكانيات ومفاهيم شخصية حسب خبراتنا ومعلوماتنا التي نحصلها من قراءتنا وقناعتنا الشخصية حتى أننا نؤمن بها ونصدقها ونحاول أن نُقنع الآخرين بها على أساس أنها الحق، وبالتالي نخرج عن أمانة النص بالنسبة لصاحب النص الأساسي، وبالطبع سنخرج بصورة عن ذاتنا وشخصيتنا نحن، وبالتالي ننقلها للآخرين، فننقل علم ومعرفة حسب قناعتنا وما توصلنا إليه من أبحاث شخصية، حتى ولو كانت صحيحة لا تخالف الكتاب المقدس وشروحات الآباء والتسليم الرسولي، لأننا – في واقع معرفة الكتاب المقدس – لا ننقل علم ومعرفة لنشبع بها عقلية الناس، أو لكي نقنع الآخرين بأصولية الكتاب المقدس وتفوقه من جهة أنه إلهي يُعبر عن مشيئة الله بإعلان، بكل طريقة علمية وفكرية وبحثية، مع أن هذا ليس خطأ في ذاته، لأن الخطأ فقط في عدم وجود موهبة الروح والحياة بالكلمة في سرّ الشركة حتى ينطق الإنسان بشهادة الله ببرهان الروح والقوة، وليس بكلام الحكمة الإنسانية المقنع ولا ببرهان الفكر والوثائق التاريخية.

ولكن نقطة بداية أي شرح للكتاب المقدس تنطلق من معرفة نصوصه الأصلية، فمعنى النص لابد من أن يرتبط بالنص الأصلي نفسه ولا يخرج عنه لا بالمعنى اللفظي في حرفه بل في روحه، مع العلم بأن الارتباط بالنص هنا هو ارتباط أمانة بإخلاص من يعرف الرب برؤيا وإعلان، وبالتالي هو صادق في التعبير عن مقاصد الله كما يحتويه النص الأصلي، ولكن مع التدقيق في النص الحرفي في أصله اللغوي والكتابي ينبغي علينا أن نعرف أن ما قبل النص المكتوب، هناك صاحب النص نفسه، ولكي يكون الشرح صحيح ينبغي التعرف على صاحب النص نفسه ونتلقف قوة النعمة التي تفيض منه في القلب وعلى الذهن ليستنير الإنسان ويفهم الكتب في نور القصد الإلهي منها بكل تدقيق مُتَّبعاً الروح الواحد الذي كُتبت به:

❖ [لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس]
(2بطرس 1: 21)

والتفسير السليم الصحيح يأتي عادةً من التربية السليمة عند ينبوع الماء الحي تحت أقدام صاحب النص نفسه، والإصغاء – بإذن مختونة ومفتوحة وذهن مستنير – لكاتب النص بنفس ذات الروح الذي كتب به، وإقامة علاقة شركة تبدأ بالتوبة والانعزال عن الشرّ والانفصال القلبي عن الأشرار، والجلوس الطويل في

جو الصلاة وقراءة الكلمة بكل صبر وتأني شديد، بدون العجلة في الاستنتاج أو حتى الدراسة من الكتب المفسرة والشارحة له حتى لو كانت دقية للغاية ومشهوداً لها من كثيرين.

❖ [طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طريق الخطاة لم يقف وفي مجلس المستهزئين لم يجلس. لكن **في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً**. فيكون كشجرة مغروسة عند مجاري المياه التي تُعطي ثمرها في أوانه وورقها لا يذبل وكل ما يصنعه ينجح]
(مزمور 1: 1 – 3)

والآن علينا أن نُدرك ونعي أن كلام الكتاب المقدس عميق للغاية وذات سلطان إلهي فائق، ولا يُمكن بل ومن المستحيل أن نرتفع لمستوى الكلمة وندخل في الوعي الكامل وندرك قوتها، إلا إذا دخلنا في سر الكلمة بنعمة الله وقوة الروح القدس.

فأمامنا نرى بأعين أجسادنا في الكتاب المقدس كلام منظور مكتوب بحروف ولغة إنسانية نفهم شكلها الخارجي ومعنى نصوصها كألفاظ وكلمات، ومع ذلك ينبغي أن نعبُر من المنظور الحرفي إلى الغير منظور الذي يفوق الحرف، لأن الحرف يقتل ولكن الروح يُحيي (2كورنثوس 6: 3)، فما وراء النص هو الله، والله شخص حي وحضور محيي، ونحن نسأله ماذا يريد أن يقول لنا عبر الدهور ومن خلال تعامله مع الأجيال السابقة، وننتظر أن يفتح ذهننا لنفهم المكتوب فهم عالي فائق في قوة الحكمة الإلهي لندخل في حالة إدراك حقيقي، لذلك علينا دائماً أن نقرع باب الكلمة بإخلاص وإلحاح لندرك الهدف الحقيقي من كتابة الأنبياء والقديسين الرسل لهذه الكتابات الملهمة بالروح القدس: [حينئذٍ فتح ذهنهم ليفهموا الكُتب] (لوقا 24: 45)، وعند هذه اللحظة وفي هذا الوقت فقط نكون قادرين بالنعمة أن نستوعب أسرار الله ونفسر ونشرح بأمانة الحق ما هو مكتوب بدقة وتدقيق شديد، غير مختلفين مع الآباء الذين مروا بمثل هذه الخبرة الرائعة جداً.

حقيقي حينما نرتفع ونتلامس مع الله كروح وحياة، يتقدس العقل جداً وينفتح الذهن بوعي سماوي عميق ليفهم مشيئة الله برؤية إيمان حي، فيصير الإنجيل في القلب والفكر والوجدان مسيطر على كل ملكات الإنسان فيخرج منه كسيمفونية لله ذات حركتين:

❖ **<u>حركة</u>** تدفق تتلامس مع قلب الإنسان وتحركه بقوة نحو حياة التوبة والتقوى
❖ **<u>وحركة</u>** تشد الإنسان وتنقيه لترفعه لمستواها الإلهي وتصير قوة لتنقي القلب ليعاين الله بسهولة.

+ [إنما صالح الله لإسرائيل لأنقياء القلب] (مزمور 73: 1)
+ [طوبى للأنقياء القلب لأنهم يُعاينون الله] (متى 5: 8)
+ [أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذي كلمتكم به] (يوحنا 15: 3)
+ [الروح هو الذي يُحيي أما الجسد فلا يُفيد شيئاً الكلام الذي أُكلمكم به هو روح وحياة]
(يوحنا 6: 36)

2 إعلان الكتاب المقدس الشامل ـ تمهيد

في الحقيقة كثيرين بتسرع يبدئون في شرح الكتاب المقدس الذي أتى بإلهام الروح بدون أن يكون لهم نفس ذات الإلهام ليشرحوا أسرار الله بسرّ الله المعلن في قلبهم بالروح القدس، فيخرجون عن مقاصد الله دون قصد منهم، فيشرحوا الكتاب فقط على أساس لغوي ولفظي في تحليل اللغة، وعلى أساس المراجع (حتى لو كانت صحيحة)، بدون الولوج لأسرار الله بروح الله في سرّ التقوى وحياة الإيمان، لتتكشف لهم أسرارها بالروح فينطقوا بروح الكتاب المقدس ما أعلنه الله حسب قصدة، لأن الكتاب المقدس لم يُقدم ليكون فقط في صورة لغوية يفهمها باحثي اللغويات القديمة، بالرغم من أهمية معرفة اللغة الأصلية لكي يتم شرح المعاني حسب قصد الكاتب المُلهم بالروح، ولكن اللغة وحدها فقط لا تنفع ولا تكفي قط بدون بلوغ سرّ الكلمة المكتوبة بروح الله !!!

فيا إخوتي، أننا – حتماً – لن نستطيع أن نفهم ونستوعب سرّ الكتاب المقدس أيضاً أن لم نفهم مضمونه العام وماذا يُريد الله أن يقول لنا، وعموماً قبل أن نخوض في أي شرح أو تفسير، لأن كثيرين من المفسرين لا ينطلقون من وحدة الكتاب المقدس ككل بل ينطلقون من كل سفر وكأنه مستقل عن باقي الأسفار ويشرحونه حسب المعنى المستقل في إصحاح وكل آية، ويركزون على كل حرف وكل كلمة مستقلة ((مع أن هذا خطأ لا يفيد ترجمة صحيحة على الإطلاق)) وهذا يُخرج الشرح بعيداً عن مقاصد الله المعلنة في الكتاب المقدس ككل، لذلك واجب علينا اليوم أن نفهم ما هو قصد الله من إعلان ذاته في الكتاب المقدس ككل، وما هي الوحدة التي تجمع الأسفار المقدسة...

لذلك بادئ ذي بدء يلزمنا أولاً أن نتعرف على خطة الله المُعلنة في كلمته التي هي أنفاسه الخاصة، كما سوف نتعرف عليها بدقة وتدقيق من خلال سلسلة المدخل العام للكتاب المقدس التي نشرحها من جهة الإعلان الإلهي وليس مجرد شرح وكلام وألفاظ واستقلالية كل سفر عن آخر، لأن من أوحى بالكتاب المقدس هو الله الحي الذي لا يُخالف نفسه، إنما أعطى الوحي بتدرج ونمو لكي يفهم الإنسان على مراحل تاريخه مقاصد الله ويتذوق خلاصه، مثل الطفل الذي ينمو من ولادته إلى رجولته ويصبح متمرساً في الفهم والمعرفة بخبرة ووعي وإدراك حقيقي، وليس إدراك طفولي مبدأي، ويبدأ في النمو والتدرج في الطعام، من الطعام البسيط الذي يخص الطفل إلى الطعام القوي الذي للبالغين وحسب احتياجاتهم...

وصدقوني، فعندما تحتضن خطة الله عقلونا وتُنيرنا ونقبلها وتنزل قلوبنا، سنستنشق أنفاس الله وبها نحيا، ويدخل الفرح لقلوبنا بقوة خلاص الله المتدفق من أعماقه إلينا، وكل من يدخل في عمق إعلانه الخاص، سيأخذ حتماً، ويشبع ويفرح، وسيدخل من عمق لعمق ومن فرح لفرح، وتُترجم في حياته لسلوك وحياة كثمرة من ثمار عمل الله وروح الإلهام في قلبه...

❖ أولاً: إعلان الكتاب المقدس

الكتاب المقدس ككل يُعلن الآتي بترتيب فائق مُذهل لغرض اتحاد الله بالإنسان، ونستطيع أن نضع المعنى العام للكتاب المقدس في هذه النقاط:

- الله مصدر كل حياة والأساس الذي يقوم عليـــــــه كل شيء
- خليقة فائقة تاجها وغايتها الإنسان، الذي يرعاها ويُقدمهـــا لله
- إعلان فائق ووعد يظهر بتدرج مجسد في تاريخ شعب مختار
- تحقيق الوعد بتجسد إلهي فائق، تاجه وغايته يسوع المسيـــح
- سكنى دائمة فائقة، تاجها وغايتها الروح القدس الرب المُحيي
- شعب خاص جسد واحد، منفصل عن عالم الموت في وحدة فائقة في سر التقوى ومحبـــة الله

- كنيسة مختارة مقدسة جامعة رسولية، مجموعة من كل الأمم وكل الشعوب
- خليقة جديدة تشع قداسة الله ويكون فيها الله بالكُل وعلى الكُل وفي الكُل
- سماء جديدة وأرض جديدة وحياة أبدية مجيدة وتحقيق كل مقاصد الله وتتميمها بالنصرة النهائية واستعلان مجده العظيم الفائق أمام كل الشعوب والأمم (الانجماع الكلي في المسيح)، وانتهاء كل أزمنة، واستعلان مجد أولاد الله في المسيح يسوع ودخولهم لملكوته العظيم بموكب نُصره فائق.

وهذا الترتيب كله هو مقاصد الله وغايته المعلنة في الكتاب المقدس من أول سفر لآخر سفر فيه، لكي يُستعلن الجسد الكامل للمسيح الرب وتتحقق الغاية النهائية حسب التدبير الأزلي الذي لله الثالوث القدوس الواحد الوحيد، وهذا ما لخصه القديس بولس الرسول في نشيد رائع للغاية يوضح خطة الله منذ الأزل وإلى الأبد، ولنصغي بانفتاح الذهن لما كتبه هذا اللاهوتي الجبار الملهم بروح الله والناطق به حسب مسرة مشيئة الله الذي جعله على دراية بسرّ المسيح:

[مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنا بكل بركة روحية في السماويات في المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه في المحبة. إذ سبق فعيننا للتبني بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التي أنعم بها علينا في المحبوب. الذي فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته. التي أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة. إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التي قصدها في نفسه، لتدبير ملء الازمنة ليجمع كل شيء في المسيح ما في السماوات وما على الأرض في ذاك. الذي فيه أيضاً نلنا نصيبا معينين سابقا حسب قصد الذي يعمل كل شيء حسب رأي مشيئته .لنكون لمدح مجده نحن الذين قد سبق رجاؤنا في المسيح. الذي فيه أيضاً أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم الذي فيه أيضاً اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس. الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده] (أفسس1: 3 – 14)

ومن جهة الترتيب التاريخي الظاهر الذي يحقق كل ما قلنا ويعلنه هو كالآتي:

* الخليقة
* الوعد
* الشعب المختار
* الإعلان
* التجسد
* سكنى الروح القدس
* الكنيسة شعب الله المختار في المسيح
* الخليقة الجديدة واستمرار اكتمالها عصر بعد عصر
* انتظار حياة الدهر الآتي واستعلان ملكوت الله

فهذا كله هو منهج الكتاب المقدس ومنه ينطلق كل شرح وتفسير، إذ يشتمل على الإعلان الكامل لحقائق الكتاب المقدس، وهو يحتضن كل الجوانب العظمى للفداء (كما هو واضح على الأخص في رسالة أفسس كما ذكرناها)، ويُظهر تاريخ الإنسان الروحي ومعاملات الله مع جنس البشر ككل، ويُظهر الغرض الحقيقي من الخليقة وما هو واجب الإنسان تجاهها، وما الغرض من حياة الإنسان وهدف دعوة الله النهائية له، لأن الله لا يريد أن يقدم دعوة للإنسان لعبادته، كما يقول البعض، أو أن غرض خلقة الإنسان أن يتمتع بالوجود وأن يعبد الله، فالله ليس محتاج لعبادة أحد لأنها لا تزيده ولا تنقصه في شيء ما قط، ولم يخلق الإنسان لأجل متعة الوجود في حد ذاته، لأن حياته ستكون بلا معنى لو كان وجوده لأجل وجوده، ولكن على ما سبق وذكرناه، نستطيع أن نستوعب ما هو الغرض الحقيقي من خلقة الإنسان ووجوده، وسأترك

لكل واحد أن يتأمل فيما كتبنا ويطلب إلهام الروح القدس حتى يستوعب بإعلان قصد الله من خلقه، فصلوا يا إخوتي واطلبوا إلهام من الله حتى يعطيكم أن تستوعبوا سر خلقكم....

❖ ثانياً: الإعلان المتدرج

أن كل من يأتي للكتاب المقدس بتوبة حقيقية طالباً انفتاح الذهن بالروح: [حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب] (لوقا 24: 45)، معتمدين على الروح القدس طالبين الاستنارة، ستنفتح بصيرتهم الداخلية فيروا ما لا يُرى في صفحات الكتاب المقدس، ويقودهم الروح القدس عبر السطور معلناً لهم الأسرار الإلهية الفائقة، لأن كلمة الله كُتبت بالروح القدس ولم تكتب بآخر [لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس] (2بطرس 1: 21)، لذلك هو وحده (الروح القدس) الذي يعلن ويكشف الأسرار في كل قلب مفتوح بالحب باستنارة الذهن: [فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر جميعاً لأن فم الرب تكلم] (أشعياء 40: 5)، [كل شيء قد دفع إلي من أبي وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يُعلن له] (متى 11: 27)، [وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يُعلمكم كل شيء ويُذكركم بكل ما قلته لكم] (يوحنا 14: 26)، [فأعلنه الله لنا نحن بروحه لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله] (1كورنثوس 2: 10)، فمن يقرأ الكتاب المقدس ينبغي أن تكون آذانه رادار تلقط صوت الروح، وقلبه كبير متسع بالحب ليستقبل الله وإعلانه عن ذاته بالروح.

وحينما ندخل للكتاب المقدس بهذا المستوى سنصل للقناعة الداخلية بأن الكتاب المقدس ليس خليطاً غير متجانس، كما يدَّعي بعض النقاد من أطياف وأفكار وفلسفات وآراء مختلفة، ويقولون بأنه عبارة عن تاريخ قديم يحتوي البعض منه على حقائق تاريخيه حقيقية، وبعضها ممزوج بأساطير مختلفة مأخوذ عن حضارات وشعوب متنوعة، وبه تصورات دينية عقائدية بعيدة عن أرض الواقع، أو أفكار دينية مستقيه من شعوب أخرى وتم دمجها، وبعضه يحتوي على خرافات لا تُصدق؛ بل سوف يرونه بعيون الذهن المنفتح والقلب المتسع بإلهام الروح أنه كشف متدرج لخطة وغرض الله الأزلي، وأنه ارتقى بالإنسان من جيل لجيل وعصر لعصر في الإعلان والتعليم.

وبكون الكتاب المقدس إعلان متدرج يظهر من بداية الخلق إلى ظهور واستعلان الله في الجسد إلى آخر سفر في الكتاب المقدس وإعلان مجيئه وظهور مجده، فيجب أن نقرأه ككل ولا نفهمه بحكمتنا بل بما يُعمله الروح القدس [التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات] (1 كورنثوس 2: 13)، ونربطه بروحه الواحد كوحده واحدة لا تنفك حتى نستطيع أن نكتسب الرؤية الصحيحة والسليمة ونستوعب أسرار الله ونستطيع ان نعلنها في شرح سليم واعٍ مُلهم بالروح للكتاب المقدس، لأن بسبب فصل الكتاب المقدس عن بعضه البعض وفهم نصوصه بانحياز لأفكار معينه يجعلنا نُخطئ في الشرح ونتحير في بعض النقاط إذ نفصل الآيات بعضها عن بعض وننطلق في الشرح من أساس مفهومنا الخاص عن الكتاب المقدس، ونؤيد نظريتنا من بعض الآباء أو بعض الخدام الذين شرحوا بعض النقاط حسب رأيهم الشخصي لظروف معينه، وذلك لكي يثبتوا شيئاً ما كرد على فيلسوف أو غيره، بعيداً عن المعنى المقصود في وحدة الكتاب المقدس والقصد الإلهي من وراء الأحداث أو المواقف:

فمثلاً لو أخذنا مثل تقدمة هابيل وقايين، وأنه نظر (الله) إلى هابيل وقربانه لأنه قدم من أبكار (بكر) غنمه ومن سمانها، أما إلى قايين وقربانه الذي قدمه من ثمار الأرض فلم ينظر .فاغتاظ قايين وحمى غضبه وامتلأ حقداً وكراهية وقام وهم بقتل أخيه انتقاماً منه

وهنا يأتي السؤال : لماذا نظر الله إلى هابيل وقربانه وإلى قايين لم ينظر؟ هل لأنه – كما يقول كثير من الشُراح – لأنه قدم من ثمار الأرض ولم يُقدم ذبيحة دموية كما يعتقد البعض؟ ومن أين له الذبيحة إن لم يكن راعياً ؟ وهل كان الرب في حاجة إلى أن يروي ظمأه بقطرات دم ذبيحة من هابيل؟ أم أنه – كما يقول البعض – ينتظر ذبيحة كفاريه عن قايين كما قبلها من هابيل، بالرغم من أن النص لم يتكلم قط عن أي تقدمة تخص خطايا ولا كفارة، بل تكلم عن تقدمة شكر وتمجيد لله وهي موجوده في سفر اللاويين بعد ذلك بزمان طويل، وهي مقننه بتقديم البكور من كل شيء لأنها مكرسه ومخصصه لله كنوع من أنواع الشكر العملي المقدم لله، وهنا نفس ذات الموقف، فكل واحد فيهما قدم من بكر كل ما صنع، فالراعي قدم من أبكار غنمه وأفضلها، والزارع قدم من أبكار أرضه، بمعنى ان كل واحد قدم من بكر عمل يديه وتعبه ليمجد ويشكر الله على ما أعطاه...

فواقع الشرح الأصيل في ضوء وحدة الكتاب المقدس يقول: أن الله لا ينظر للعينين بل ينظر إلى القلب (1صموئيل 16: 7)، ولا يُفرق بين إنسان وإنسان بحسب تقدماته له.
بل نجد الإجابة واضحة في الكتاب المقدس كشمس النهار، ولا تحتاج لأي جهد أو استنتاج، وهي أن الله قبِلَ ذبيحة هابيل ولم ينظر إلى قايين وقربانه، وذلك لأن هابيل قدمها بإيمان وشهد له أنه بار، لأن بدون إيمان قلبي واعي لا يُمكن إرضاء الله بأي حال من الأحوال ومهما ما كانت أنواع التقدمة وفائق عظمتها، حتى لو الإنسان قدم ذبائح الدنيا كلها وما فيها متمماً كل الناموس والوصايا حسب الشكل القانوني لها، [أن جعت فلا أقول لك لأن لي المسكونة وملأها. هل آكل لحم الثيران أو أشرب دم التيوس... أذبح لله حمداً وأوفِ العلي نذورك (عهودك)... وادعني في يوم الضيق أنقذك فتُمجدني] (انظر مزمور 50)، وهنا كان تعليم قوي للغاية ليبدأ الله به مع كل إنسان على وجه الأرض، للتعليم الصحيح الذي انطلق منه وبدأ يعلم به الإنسان بعد موقف قايين وهابيل، وهو أن كل شيء يُقدم لله يكون من أفضل ما عند الإنسان ومقدم من قلب طاهر ونفس مستنيره بالإيمان الحي العامل بالمحبة، وهذا ما يكشفه هذا الحدث الذي منه أنطلق التعليم في الكتاب المقدس والذي شُرح على مدى أسفاره ليثبت هذه الحقيقية، وممكن الرجوع لهذه الآيات المترابطة معه أشد الارتباط:
(1صموئيل 16: 7 + 1صموئيل 15 + مزمور 5: 12 – 15 + مزمور 51: 16 – 19 + عبرانيين)

+عموماً يُخطأ الكثيرين في تناول الكتاب المقدس بالشرح والتفسير انطلاقاً من قبول أو تخصيص إعلان مميز لحقيقة معينة يريدون إثباتها بأية طريقة ممكنة، وهي نية سليمة وليس المقصود بها الابتعاد عن النص، ولكن إثبات فكرة معينة أو إظهار حقيقة معينة، تجعل الشارح يربط آيات لا تتناسب مع بعضها البعض لكي يقنع سامعه أو القارئ له بالفكرة التي يُريد أن يطرحها ويُرسخها في الأذهان، حتى تكون بذلك مقنعة جداً، وهنا يخرج عن قصد الله في الحدث ويُعطي الحدث بُعداً آخر غير مقصود به تماماً، مع أنه يُريد أن يثبت فكرة صحيحة وليس خاطئة على الإطلاق، ومع ذلك أخطأ في إعلان القصد الإلهي من وراء الحدث نفسه.

فلا يصح عموماً لأي شرح أو تفسير أو بحث في الكتاب المقدس في أجزاءه المختلفة ونصوصه المنفصلة، مهما ما كان هاماً بل ويعلن أمور حقيقية لا غش فيها، أن يلحق الضرر بمعنى القيمة السامية لشهادة الكتاب الموحدة. أو يخرج عن القصد من الحدث أو الموقف أو الآية ويضفي عليها معنى آخر بعيد تماماً عن القصد منها، ففحص الكتاب المقدس بتحيز لأي فكرة أو تأكيد على معنى من وجهة نظر متحيزة تكون بالضرورة غير كاملة ولا تُظهر فكر الله الكامل والغرض من الحدث أو الموقف أو الآية، كما رأينا مثالاً في أول موقف وحدث في الكتاب المقدس وهو تقدمة هابيل وقايين، ومن هُنا نفهم لماذا الكنيسة قسمت الآباء لآباء معتبرين وألحقت باسمهم كلمة [الكبير]، و [آباء غير معتبرين] وأطلقت عليهم القديس فقط بدون كلمة الكبير، لأن بعضهم لم يلتزم بوحدة الكتاب المقدس بل كان لهم تأملات شخصية مثبته بوحدة

الآيات خارج معناها العام، مع أن تأملهم ليس فيه خروج عن الإيمان بل يعلن حقائق، ولكنها – بالرغم من ذلك - لا تتناسب مع الشرح السليم في وحدة الكتاب المقدس ككل، غير الآباء الملتزمين بوحدة النص كما سبق وشرحنا المعنى العام في الكتاب المقدس في وحدته التي تُعلن قصد الله...

❖ ثالثاً: الوحي الإلهي والإعلان

الوحي الإلهي الذي منه الإعلان، ليس فكرة ونظرية نطرحها لنكتب معلومة جديدة أو فكرة عظيمة نلفقها ونتحدث عنها، لكي نؤكد على أن الكتاب المقدس موحى من الله، بل هي خبرة نجتاز فيها عملياً وعلى مستوى واقعنا اليومي المُعاش، حينما ندخل في علاقة حية مع الله الحي ونمتلئ بالروح، لأن الوحي والإلهام بالروح القدس روح الله وليس حسب أفكار الناس حتى لو كانت حسنة جداً ورائعة بل وفي منتهى الدقة، لذلك حينما ينطق الأنبياء بالإلهام الإلهي، إلهام موحى به من الله، فينطقون بقوة كلمة الله من فمه وباسمه، بصورة كلمات بشرية في واقع إنساني، يفهمها الإنسان حسب لغة عصره ليستوعب مقاصد الله وماذا يُريد منه على وجه التحديد، إذ أنهم يتعلمون من الله بالروح القدس، وينطقون بنفس ذات الروح عينه حسب إلهامه...

ولندقق فيما هو مكتوب بنفس ذات الإلهام ليُعلمنا ويشرح لنا كيف ننطق بكلمة الله ونكرز بها ونعيشها اليوم كما هي بحسب إلهام الروح ذاته وبشخصه، بنطق الله الذي منه الحياة تنسكب فينا، فنحيا به ونتحرك ونوجد لا على مستوى نظري ومعلومة بل خبرة وحياة في واقعنا اليومي المُعاش:

[فقال موسى للرب: أستمع أيها السيد، لستُ أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول من أمس ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللسان. فقال له الرب: من صنع للإنسان فماً أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيراً أو أعمى أما هو أنا الرب. فالآن اِذهب وأنا أكون مع فمك وأُعلمك ما تتكلم به]
(خروج 4: 10 – 12)

[لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين، ولكن بحكمة ليست من هذا الدهر، ولا من عظماء هذا الدهر الذين يُبطلون. بل نتكلم بحكمة الله، في سر الحكمة المكتومة، التي سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا.... كما هو مكتوب: ما لم تر عين ولم تسمع أُذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه. فأعلنه الله لنا نحن بروحه، لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله. لأن مَن مِنَ الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه، هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله. ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله. التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تُعلمها حكمة إنسانية، بل بما يُعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات. ولكن الإنسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يُحكم فيه روحيا. وأما الروحي فيحكم في كل شيء وهو لا يُحكم فيه من أحد. لأنه من عرف فكر الرب فيعلمه وأما نحن فلنا فكر المسيح]
(أنظر 1كورنثوس2: 6 – 16)

[لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس]
(2بطرس 1: 21)

وبهذا المعنى فأن الكتاب المقدس وحدة واحدة متكاملة، مستتر فيها مقاصد الله الأزلية حسب التدبير ومعلنة بالتدريج في الزمن للإنسان حسب قامته وتدرج معرفته، لذلك اختار الله أُناس وساقهم بروحه ونطق على أفواههم بإلهام خاص ليُعلن مقاصده للإنسان ليحيا بها على المستوى العملي، لكي يتم قصد الله وتدبيره في الإنسان على مر العصور ليوم إعلان مجيئه في ملء مجده ومجد أبيه والروح القدس، لذلك الكتاب المقدس لا ينبغي أن نتعامل معه على مستوى الكلمات والحرف فقط، لأنه حي ينبض بروح الحياة ذاته، أي الروح القدس روح الإلهام كما رأينا في الآيات السابقة...

فالإله الحي مازال حياً، ولأنه حي أعطى حياه لكل من يأتي إليه ويقبله ويقبل إلهام الروح ويدخل في سرّ كلمته التي تعبر عن حياته، والرب نفسه أعلن هذا بفمه قائلاً [بعد قليل لا يراني العالم أيضاً وأما أنتم فترونني، إني أنا حي فأنتم ستحيون] (يوحنا14: 19)

فحينما ألتقي بكلمة الرب التي تحمل حياة الله وأدخل في سرّ الإنجيل، يُكشف لي بالروح الحياة التي تنبض في الكلمة، فأقبلها كقوة حياة بالإيمان، واستعد لتنفيذ الوصية بالروح وأحيا بها لأنها روح وحياة: [الروح هو الذي يُحيي أما الجسد فلا يُفيد شيئاً، الكلام الذي أُكلمكم به هو روح و حياة] (يوحنا 6: 63)

فكاتبي الأسفار المقدسة هم المتعلمون من الله والملهمون بالروح، وهذا ما تؤكده رسالة كورنثوس الأولى كما رأينا، ونُعيد إعادة مركزة على بعض الآيات لا من أجل الإعادة في حد ذاتها والتكرار، بل لكي ننتبه إلى الطريقة التي ينتقل بها الحق من فكر الله إلى ذهن الإنسان بإلهام الروح، وبما يُعلمه أيضاً، فيقول القديس بولس الرسول الملهم بالروح في كورنثوس الأولى الإصحاح الثاني:

+ أمور الله غير المنظورة لا يُمكن للإنسان الطبيعي أن يكتشفها (طبعاً مهما ما بلغ من فكر وقدرة على التحليل والنشاط العقلي المُميز وقدرة على الفهم الصحيح المتزن) (9)
+ هذه الأمور الغير منظوره قد أُعلنت لأُناس مُختارين ومفروزين من الله للعمل الإلهي وإلهام الروح (10 – 12)
+ وهذه الكلمات التي يقولها رجال الله الملهمون بالروح تنتقل للجميع عن طريق تعليم الروح القدس (13)
+ الأقوال التي يُعلمها الروح القدس بشخصه والذي ألهم بها أُناس الله المختارين وأعلن عنها، يُحكم فيها من جهة صدقها – لأنها أقوال الله فعلاً – عن طريق المؤمنين الروحيين الذين لهم إلهام الروح ونالوا سرّ إعلان الله في قلوبهم على مستوى الخبرة والحياة، فلهم روح الإفراز والتمييز من الله أيضاً بالإلهام والإعلان، لذلك كل من يمتلئ بالروح وينال سر الإعلان الإلهي في قلبه يستطيع أن يفرز ويُميز ما هو من الله وما هو ليس من الله، مميزاً تعليم الروح وما يقوله إذ يقارن الروحيات بالروحيات ويستوعب أسرار الله ويفهم بقلبه وعقله المستنير بنور إشراق النعمة.

[وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء... وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يُعلمكم أحد، بل كما تُعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً، كما علمتكم تثبتون فيه] (1يوحنا 2: 20، 27)

عموماً نعود لنتساءل:
+ ما معنى الوحي بدقة، أو ما هو المقصود بالوحي الإلهي!!!

طبعاً لو انحازنا للفكر العام، سنقول على كل كاتب قصة أدبية أو غيرها من الأعمال التي تبدو امامنا عظيمة جداً وقد برع كاتبها في التصوير، أنه إنسان مُلهم يستطيع من خلال الحوادث اليومية يكتب قصص بطريقة أدبية يوصل بها تعليم أو فكر للناس بشكل يا أما مباشر في صورة أحداث واقعيه مُعاشه، أو غير مباشر بالرمز والتمثيل والتشبيه، وهذا الإلهام يختلف تماماً عن الإلهام الإلهي في الكتاب المقدس، رغم استخدام نفس ذات الأدوات مع ما يزيد عليها من نبوءات وغيرها...

فإلهام أي كاتب عموماً هو إلهام العقل البشري المخلوق وحسب ذكاءه وفطرته وفطنته الخاصة، لأن كل إنسان أخذ صورة من الله منطبعة في شخصيته منذ بداية تكوينه، لذلك يستطيع الكثيرين أن يكتبوا بفكر مُلهم قصص وأحاديث وغيرها من الصور الأدبية المختلفة والمتباينة، وقد تنفع الكثيرين وتعلمهم أمور

فاضلة كثيرة وتزرع مبادئ جميلة يحتاج إلها الفرد على مستواه الشخصي أو المجتمع ككل على مستواه العام، وبالطبع يختلف من مكان لآخر ومن حضارة لأخرى، ومن فكر لفكر ... الخ.
ولكن نجد مثلاً في أيوب يقول عن الوحي: [نسمة (وحي) القدير تُعقلهم] (أيوب 32: 8)، وهُنا تعني الكلمة "أنفاس" وتُظهر بذلك أن الله هو المُبدع لذكاء الإنسان ومُلهمه. وفي تيموثاوس الثانية 3: 16 يقول: كل الكتاب موحى به من الله، والكلمة التي استخدمها القديس بولس الرسول بالنسبة لكلمة موحى أو الوحي هي (أنفاس الله).

فالوحي، هو أنفاس الله، هو روح حياة الله، الروح القدس، روح الآب، روح الابن، وهو منحة شخصية من الله الحي الذي وحده من يُعبر عن ذاته ويُعلنها؛ فالوحي منحة تحمل تلك الدرجة من التأثير الإلهي القوي بمساعدة ذات طابع يحمل قوة كنار وحياة، تشتعل في أنبياء الله وتلاميذه الأخصاء فيُعبَّروا عن ما يُريد الله بصورة كلمات بشرية ممسوحة بمسحة الروح لتكون معبرة لدى كل إنسان عن مشيئة الله وتنقل له حياته وقوة نعمته، فأنفاس الله هُنا تشتعل في كيان حامل رسالة الله ليتكلم بها لذلك مكتوب:[وقام إيليا النبي كالنار وتوقد كلامه كالمشعل] (سيراخ 48: 1)؛ ويقول الرب في أرميا: [أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تُحطم الصخر] (أرميا 23: 29)

فيا إخوتي الكتاب المقدس ليس هو بالكتاب العادي الذي يُقرأ منفصلاً ويتم تمزيقه عن بعضه البعض وفيه تتم كتابه آراء الناس الشخصية فيه، ويتم شرحه لإثبات أفكار خاصة حتى لو كانت صحيحة، بدون الولوج لمعرفة ماذا يُريد الله بإعلانه هو عن ذاته بروحه القدوس بالإلهام في قلب القارئ والسامع والشارح، لأن الكتاب المقدس هو صادر من أنفاس الله ليُعبِّر عن الله كشخص حي يُعطي حياة، لأن الله حينما يخرج أنفاسه تخرج حياة في التو واللحظة، فحينما نفخ الله في الجسد الذي أنشأه من الأرض صار آدم نفساً حية، والكتاب المقدس الذي بين أيدينا هو كلمة الرب التي أتت كنسمة حياة من الله على شكل لغة مكتوبة، ومن هُنا أتى تمييز الأسفار الإلهية عن سائر الكتابات البشرية، لأنها كلمة مُشخصة تحمل قوة حياة الله الكلمة ذاته، وهذا يعطينا أن نفهم قول القديس بولس الرسول الذي قاله:

- [وأنا لما أتيت إليكم أيها الإخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة مُنادياً لكم بشهادة الله .... وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع، بل ببرهان الروح و القوة .لكي لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله] (1كورنثوس 2: 1و4 – 5)

فهل يُريد أحد ان يستوعب سرّ الكتاب المقدس ويدخل في سرّ التدبير الفائق؟
وهل يُريد أحد أن يستوعب غنى مجد أسرار الله الحي ويشبــع منها ويفرح؟
وهل يُريد أحد أن يكون شارح للكتاب المقدس بتدقيق وحسب مقاصـــد الله؟
وهل يُريد أحد أن يخدم الله ويكرز بالإنجيل على مستـــوى الروح والحق؟

فليفهم الآن ما كتبناه بالروح ويقرع باب كلمة الله لتنفتح له كسرّ وخبرة وحياة، فيحيا بأنفاس الله وتسري فيه كقوة نار تطهره وتشتعل في قلبه بالمحبة والإيمان وتزع في قلبه فتُثمر فيه، فيصير إنجيل مقروء من الجميع، ويشهد شهادة الله مُعلناً قصده الذي صار في قلبه بإعلان وبتعليم الروح القدس، لأن بدون إلهام الروح وعمل الكلمة في القلب بحفظها وإرسالية الله بالروح للإنسان ليخدمه ويُعلم تعاليمه، فباطلة هي كل خدمة يقدمها الإنسان لأنه سيتكلم حسب فكره ومفهومه الشخصي الذي فهمه من كلمة الله ويُفلسفها ويُشكلها ويرتبها ويربط آياتها كما يرى أنه مناسب أو حسب ما تعلم واقتنع عقلياً، ولكنه لن يُعلن مقاصد الله ويكتب حسب قصده على الإطلاق مهما ما بلغ من قدرة ودراسة وفهم وسيصير كاذباً عن دون دراية إذ أنه صدق نفسه لأنه أُعجب بفكره وتأكد أنه يتكلم بالحق والصدق بتقوى، وكما هو مكتوب:

+ فقال أرميا النبي لحننيا النبي أسمع يا حننيا أن الرب لم يُرسلك وأنت قد جعلت هذا الشعب يتكل على الكذب (أرميا 28: 15)

+ وأنبياؤها قد طينوا لهم بالطُفال رائين باطلاً وعارفين لهم كذباً قائلين هكذا قال السيد الرب والرب لم يتكلم (حزقيال 22: 28)

+ رأوا باطلاً وعرافة كاذبة القائلون وحي الرب والرب لم يرسلهم وانتظروا إثبات الكلمة (حزقيال 13: 6)

+ وكيف يكرزون أن لم يرسلوا كما هو مكتوب ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام، المبشرين بالخيرات (رومية 10: 15)

Aym Fayek

3 الكتب المقدسة ومحور التعليم فيها

+ وأنك منذ الطفولة تعرف الكُتب المقدسة القادرة أن تُحكمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع

2تيموثاوس 3: 15

في هذا الآية التي نطقها القديس بولس الرسول بالروح، توضح لنا دور الكُتب المُقدسة التي كُتبت بالروح في الحق لبناء النفس للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع، ومن هنا يُستعلن لنا بالروح عينه أن هذه الكُتب المقدسة ليست تُحفة أدبية قديمة، أو أسفار مقدسة تحتوي على معلومات قيمة عن الله أو حتى عن فكر إنساني عالي أو تدرج فكر ثقافي في حياة شعب خاص سُميَّ شعب الله المختار، وليست أيضاً مجرد سرد تاريخي لشعب من الشعوب وتتبع أخباره من جيل لجيل أو مجرد خبراته الشخصية لتكون مجرد مثال، ولكن هذه الكُتب دُعيت مقدسة، ليس لأن أطلق عليها بولس الرسول هذا الاسم: [المقدسة]، بل بكونها إعلان إلهي في داخل الزمن، وهي إعلان بظهور يد الله العاملة وسط شعب اختاره ليظهر فيه مجده، لأن الإعلان الإلهي لا يظهر في المجهول، ولا يوضع كفكر نظري ومجرد كلمات كما نتكلم نحن، لأن الله ينطق بكلمته، وكلمة الله قوة حياة متدفقة تمتد عبر الأجيال بمجد فائق يُستعلن ويظهر تفوقه، لذلك حينما يتكلم يفعل، أي كلمته تتحول من تلقاء ذاتها لفعل ذات سلطان، لأنه يتكلم بفعل وعمل ويقطع عهد ويعطي وعد، ولو فحصنا كلمة الله سنجدها [فعل وعمل، وعهد مقطوع على دم، ووعد مبني على هذا العهد]، ونجد أنه من المستحيل أن ينطق الله ويتكلم ويظل كل شيء كما هو ساكن لا حراك فيه، كلمة الله = فعل وعمل:

- كلمة الله لا تُقيد (2تيموثاوس 2: 9)
- هكذا تكون كلمتي التي تخرج من فمي لا ترجع إليَّ فارغة، بل تعمل ما سُررت به وتنجح فيما أرسلتها لهُ (إشعياء 55: 11)
- فقال الرب لي أحسنت الرؤية لأني أنا ساهر على كلمتي لأُجريها (إرميا 1: 12)
- أليست هكذا كلمتي كنار يقول الرب وكمطرقة تُحطم الصخر (إرميا 23: 29)
- كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومُميزة أفكار القلب ونياته (عبرانيين 4: 12)
- مولودين ثانية لا من زرع يفنى، بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية إلى الأبد (1بطرس 1: 23)

فالكتب المقدسة، أو بمعنى أدق الكتاب المقدس لأنه كتاب واحد، هو كتاب إعلان مجد الله، غرضه وهدفه خلاص الإنسان، وخلاص الإنسان ليس فكره ولا مجرد عقيدة ولا كلام عجائز وأساطير مبنية على أفكار شعوب قديمة وتطورت لتصل للمسيحية، لأن المسيحية في حقيقتها ليست دين ليتدين به الإنسان ليتجمل بكثير من الفضائل أكثر من باقي الأديان الأخرى، هذه نظره مشوهة جداً للمسيحية كلها !!! وهذا كله يأتي – بالطبع – بسبب انغلاق الذهن عن الإعلان الإلهي النابض بالحياة، لأن هذا الإعلان نابض بإلهام الروح في الحق، ويستحيل فهمه أن لم ينفتح الذهن الداخلي بقوة الروح عينه الذي أعطى هذا الإلهام لكل كاتبي الكتاب المقدس، فإذا كان روح الله تكلم من خلال الرجال الذين كتبوا الكتاب المقدس، فأقل ما يُمكن أن نفعله هو أن ندرسه بروح الصلاة بالإيمان كإعلان مُعطى من الله، وهذا يتطلب قداسة، لأن ما نحن في صدده هو إعلان الله عن ذاته لنعاين مجده، ورؤية الله تستحيل بدون قداسة، لذلك نجد أن كل كُتَّاب الكتاب المقدس، يفرزهم الله أولاً ثم يكرسهم ويخصصهم أي يقدسهم لكي يستعدوا لحلول الروح للإلهام الإلهي لإعلان مجد الله، لأن بدون القداسة لا يُعاين أحد الله مهما ما بلغ من مقدرة وقوة على الفهم والاستيعاب، لأن ممكن أي شخص يقرأ الكتاب المقدس ويستوعب كلماته المكتوبة، ولكنه لن يرى مجد الله وبهاء نوره المُشع: [لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح] (2كورنثوس 4: 6)، لذلك واجب قداسة القلب أولاً وقبل كل شيء [القداسة التي

بدونها لن يرى أحد الرب] (عبرانيين 12: 14)، لأن من المستحيل أن تنكشف كلمة الله في قوتها وعظمة المجد المستتر فيها بدون أن يكون على الأقل الإنسان تائب طالباً الله بشوق قلب يفتقر إليه...

عموماً السبب الرئيسي لضعف الخدمة في الكنائس وعلى المواقع وحالة الأنيميا الروحية التي يُعاني منها الكثيرون، هو بسبب الافتقار للتعليم الحي بوحي الروح القدس، لغرض خلاص النفس وإعلان مجد الله بوجه مكشوف لننظر ونتغير لتلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح القدس !!!
لأن كلمة الله لا تُلقى في الفراغ أو تستقر في العقل لتُصبح فكرة للحوار وتُطرح النقاش والجدل، وانا صح وانت خطأ، ورد من يخالفني الرأي وردي عليه، ونلف وندور في حلقات مفرغة من مضمون، وذلك لأننا لم نبلغ بعد لإلهام الروح ولم نرى مجد الله بوجه مكشوف كما في مرآة لنتغير إليه، وقراءة كل واحد لكلمة الله لم تتحول فيه لفعل وقوة حياة، لأن هدف التعليم الصحيح هو معرفة مجد الله لنتغير إليه بسر عمل الروح القدس في داخل قلوبنا، واي تعليم (حتى لو كان صحيح) لا يُدخلنا لداخل الله، لنحيا معه في شركة مقدسة في النور، نرى وجهه ونسمع صوته، فيا إما أنا مغلق القلب وأعمى في الذهن، فلا أرى ملامح الله في هذا التعليم، يا إما التعليم نفسه أجوف لا روح فيه ولا إلهام إلهي، بل هو خطاب من عقل لعقل، ولن يخرج عن إطار المحفوظات العقلية والفكرية التي لا روح فيها، حتى أظن أني أعرف الله مع أني عرفت معلومات عن الله وليس الله بشخصه الحي، وهذا صنم المسيحيين الذين لم يعرفوا الله بإعلان الروح وإلهامه، وساروا في منهج القداسة وتطهير القلب، بغسل التوبة الصادقة التي يعمل فيها الروح القدس لتصير بحر غسيل الدنسين بدم ابن الله الحي الذي يُطهر من أي خطية شافياً جراحات النفس الداخلية يوماً بعد يوم...

وبعد أن تحدثنا عن الكتب المقدسة بإيجاز ومحور التعليم فيها، ينبغي أن نتحدث عن التعليم المسيحي الأصيل ومعناه، لا لكي نعرف وحسب، بل لكي تنضبط حياتنا ونسلك في النور وندخل في التعاليم الإلهية في الكتاب المقدس، لأن الكتاب المقدس يجمنا للخلاص لنُشفى من كل أوجاعنا الداخلية التي تعوق حياتنا لنستطيع أن يكون لنا شركة حياة مع الله والقديسين في النور، ولكي لا نقرأ الكتاب المقدس كما تعودنا للاضطلاع أو للدفاع، أو لغرض المعلومات وتحضير الدروس أو الرد على الاخرين، بل ندخل لعمق سره الإلهي بنفس ذات الروح الذي كُتب بها...

❖ أولاً: التعليم المسيحي

عندما نتكلم عن التعليم المسيحي، ينبغي علينا أن نستوعب الكلمة لا في ضوء موضوع المسيحية كدين، له فلسفته الخاصة وفكره بين الصحيح والخاطئ، بل لنا أن نغوص في معنى الكلمة من جهة الاستعلان بالروح، لأن التعليم المسيحي، تعليم استعلاني بالروح القدس في الحق، أي شخص المسيح الرب الطريق والحق، القيامة والحياة، وغرضه الشركة، والشركة تقوم على اتحاد ووحدة جسد واحد في المسيح يسوع، ليكون الجميع رعية واحدة لراعٍ واحد؛ لذلك أن تطرق ذهننا لمفهوم آخر، خرجنا للتو عن التعليم المسيحي الأصيل، وذهبنا لفلسفة الفكر حسب رأي وفكر كل شخص وظنه واعتقاده، ومن هنا يحدث انشقاق وتحزب، واحد لبولس وواحد لأبولس، كما حدث في كنيسة كورنثوس، لأن حينما لا يكون التعليم بالروح في الحق بقوة الله لا بحكمة إنسانية مقنعة، بل ببرهان الروح والقوة، يُصبح كل ما يُقدم تعاليم الناس بعيد كل البعد عن تعاليم الله، وتظهر نظريات وأفكار لا حصر لها، وقد يكون الكثير منها عكس بعضها البعض، أو حتى تظهر مجرد تأملات مفرغة من قوة الله وبرهان الروح والقوة، تمس عواطف الإنسان ولكن لا تحركه نحو الشركة مع القديسين في المسيح يسوع، ويتغير الإنسان حسب صورة خالقة، كخليقة جديدة في المسيح يسوع، بل يظل إنساناً تحت سلطان الموت الذي يظهر فيه في صورة اضطراب وخوف وجزع، وأحياناً اضطرابات وضيقات نفسية تطيح به بعيداً جداً عن الله، ويحيا في عمى ذهني لا يستطيع

ان يُبصر نور الله المُشرق في وجه يسوع: [لأن الله الذي قال أن يُشرق نور من ظلمة هو الذي أشرق في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح] (2كورنثوس 4: 6).

- **ثانياً: معنى كلمة (تعليم) في الكتاب المقدس**

في العهد القديم نجد أن الكلمة العبرية تأتي بمعنى (ما يتم استلامه) و (الموضوع أو الرسالة التي يتم تعليمها وتلقينها حسب أمر الرب وإعلانه):

- انصتي أيتها السماوات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي. يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي كالطل على الكلأ وكالوابل على العُشب (تثنية 32: 1و 2)
- اسمعوا أيها البنون تأديب الأب واصغوا لأجل معرفة الفهم. لأني أعطيكم تعليماً صالحاً فلا تتركوا شريعتي (أمثال 4: 1و 2)

ونلاحظ عادة أن كلمة التعليم مرتبطة ارتباط شديد بالنحت والحفر وبالسمع المقترن بالإصغاء، وأيضاً ترتبط بالتربية والتأديب، والكلمة اليونانية في العهد الجديد تأتي بتلك المعاني: [يُربي (تربية)، يوبخ للإصلاح، يُعلِّم، يُهذب، يُدرب (تدريب)، انضباط (يضبُط)، مُؤدِّب (يتأدب بالتعليم)، مُرشد، وصي]، والمعنى في أصله مرتبط بكلمة [طفل، ولد، صبي] ومن ثمَّ يأتي المعنى أن يكون شخص مُعلِّم مع طفل أو ولد، ليرعاه رعاية المُربي الأمين، ليُسلمه تعليم، لتثقيفه وتدريسه، لتقويمه وتهذيبه، وترسيخ التعليم في ذهنه وعقله بغرض السلوك السليم والحياة وسط المجتمع بما يتفق مع عاداته وتقاليده الخاصة به.

عموماً من هذه المعاني المخطوطة في الكتاب المقدس، نستطيع ان نستوعب القصد والمعنى منها لنفهم ما هو التعليم الإلهي على وجه الدقة التي تظهر لنا من خلال سطور الكتاب المقدس بإعلان وتوجيه الروح القدس، روح التعليم والتربية، الذي يحفر بشخصه التعليم في القلب والذهن معاً ليتحول بسلوك وحياة بطاعتنا الحُرة والمسئولة كأطفال نتربى عند قدمي الكتاب المقدس لنتلقف التعليم كالندى في القلب:

- ازرعوا لأنفسكم بالبرّ، احصدوا بحسب الصلاح، احرثوا لا نفسكم حرثاً، فانه وقت لطلب الرب حتى يأتي **ويُعلمكم** البرّ (هوشع 10: 12)
- وأما المُعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو **يُعلمكم كل شيء ويُذكركم** بكل ما قلته لكم (يوحنا 14: 26)
- لأن الروح القدس يُعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه (لوقا 12: 12)
- وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم إلى أن يُعلمكم أحد، بل كما تُعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهي حق وليست كذباً، كما علمتكم تثبتون فيه (1يوحنا 2: 27)

ومن خلال هذه الآيات نفهم كيف نتعلم ونتهذب، لأن التعليم يستحيل أن يأتي إلا من الروح القدس وحده، لذلك تهتم الكنيسة على مرّ العصور أن تُعين خداماً مملوئين بالروح القدس، ولا تستطيع أن تسمح لأحد غير ممتلئ بالروح أن يتقدم للخدمة (مع أن للأسف الشديد، اليوم أي شخص يتقدم ويخدم كيفما اتفق، وتسمح له الكنيسة بذلك، لأن عنده معلومات وقدرة على الكتابة والكلام والحديث.. الخ، مع أن كل من يفعل ذلك وصار مسئولاً عن تعيين خادم أو كاهن أو أسقف.. الخ، سيُدان في النهاية أمام الله الحي لأنه عن وعي وإدراك لم يلتزم بتقليد الكنيسة الرسولي في تعيين الخدام والكهنة ورسامة الأساقفة بدون أن يتأكد من امتلائهم بالروح القدس لأجل الخدمة: "وها أنا أُرسل إليكم موعد أبي فأقيموا في مدينة أورشليم **إلى أن تلبسوا قوة من الأعالي**" – لوقا 24: 49)، عموماً تحرص الكنيسة (قديماً) بشدة على ان تُقدم تعليم الرسول بولس للتحذير من جهة كلامه عن انطفاء الروح القدس في النفس [لا تطفئوا الروح] (1تسالونيكي 5: 19)، [ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به خُتمتم ليوم الفداء] (أفسس 4: 30)، وذلك

بسبب أن لو انطفأ الروح القدس في القلب، كيف تتعلم النفس وتتهذب بالتعليم الإلهي النقي، وكيف يتنقى القلب وتتغير النفس وتصير على صورة الرب يسوع، لأن الروح القدس هو الذي يُشكلنا على صورته حينما يحفر في قلوبنا التعليم الإلهي [بل هذا هو العهد الذي أقطعه مع بيت إسرائيل، بعد تلك الأيام يقول الرب، أجعل شريعتي في داخلهم واكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً] (ارميا 31: 33).

وبهذه الصورة يتجلى أمام أعيننا كمال التعليم الإلهي، لأنه بروح الله يُعلن في القلب ويُخط في الذهن المنفتح على الإلهيات بالنعمة، لأن الرب يسوع حينما نأتي إليه تائبين طالبين مجده، يفتح أذهاننا لنفهم الكتب بالروح في الحق، فنستنير بالكلمة:

- وصايا الرب مستقيمة تفرح إياه. أمر الرب طاهر يُنير العينين (مزمور 19: 8)
- عين الرب لمُحبيه (أو عين الرب على مُحبيه) وهو نصير (حماية) قدير وسند قوي، يسترهم من الحرّ ويُظللهم في الظُهيرة، ويقيهم من العثرات (والعقبات) و(نجدة عند) السقوط، الرب يُنعش (يُعلي شأن) النفس ويُنير العيون (العينين)، ويمنح الشفاء والحياة والبركة

(سيراخ 34: 16 – 17، أو من 20 – 21 في بعض الترجمات)

ومن هُنا نرى أن الكتاب المقدس كتاب تعليم بالدرجة الأولى حسب المعنى الذي غُصنا فيه بإيجاز دون تطويل، وفيه نرى أن الكتاب المقدس لا يُناقض نفسه أبداً إلا عند الذين يرفضونه كإعلان إلهي فيقولون الشيء الكثير عن شُبهات وهمية، وهما معذورون فعلاً، لأنهم في الواقع يرونها هكذا لأن هناك بُرقع وحاجز موضوع على عين الذهن فلا تقدر أن ترى مجد الله المستتر في الكلمات المكتوبة: [الذين فيهم إله هذا الدهر (الشيطان) قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تُضيء لهم إنارة انجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله] (2كورنثوس 4: 4)، حتى أن كل من يرد على هذه الشبهات بالمنطق العقلي وبكلام الحكمة الإنسانية المُقنع، بدون روح الإعلان فهو يشترك معهم في نفس ذات الرؤيا القاصرة على المنطق العقلي البعيد عن برهان الروح والقوة، أما كل من استنار برؤية الله وإعلانه عن ذاته [نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل] (مزمور 34: 5)، فأنهم يروا بانفتاح الذهن بالروح، العهد الجديد مستتر في العهد القديم، والعهد القديم مُعلن وظاهر في العهد الجديد، لأن [ناموس الله كامل] وما يبدو أنه متناقض، يختفي تماماً عندما نُقارن الروحيات بالروحيات: [التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تعلمها حكمة إنسانية بل بما يُعلمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات] (1كورنثوس 2: 13)

4 الكتب المقدسة وتسمية الكتاب المقدس:

الكتب المقدسة هي معاً كتاب إعلان الله كما رأينا بالتفصيل، وأول من أطلق هذه التسمية في العهد الجديد بالروح القدس على الأسفار المعروفة بالعهد القديم هو القديس بولس الرسول إلى تلميذة القديس تيموثاوس الرسول قائلاً له على وجه خاص: [وأنك منذ الطفولة تعرف الكُتب المقدسة القادرة أن تُحكمك للخلاص بالإيمان الذي في المسيح يسوع] (2تيموثاوس 3: 15)

وبادئ ذي بدء، لابد من أن نُميز النعمة الظاهرة في الكتاب المقدس فيما قبل ظهور الله في الجسد وبعد ظهوره في الجسد، لأن كثيرين بلا وعي لاهوتي دقيق وانحرافاً عن مقاصد الله وإعلان محبته الظاهر في العهدين قائلين: [نشكر الله لأننا في عهد النعمة، لسنا بعد تحت الناموس، نحن في العهد الجديد لا في العهد البائد القديم، وأخذنا نعمة عوضاً عن الناموس]، وكأن العهد القديم كله لم يكن فيه نعمة على وجه الإطلاق، غير مُميزين الفرق في معنى كلمة ناموس، لأن هناك الناموس الطبيعي، والناموس الطقسي، والناموس الروحي، والناموس الاجتماعي الذي يُنظم العلاقات الإنسانية!!! وهل الله تعامل منذ آدم إلى موسى بالناموس، وبأي ناموس، ناموس الأعمال أم ناموس الإيمان، أم ناموس الطقس !!! وهل العهد القديم كله ناموس حرفي طقسي بلا نعمة، أم كانت النعمة مستترة فيه، وماذا عن نعمة إعلان الله عن ذاته، وعن اختيار شعب بلا استحقاق، أليست كلها أفعال نعمة الله!!!

عموماً في عام 140م تقريباً ومن خلال القرن الثاني الميلادي ظهر شخص يُدعى ماركيون Marcion البُنطي، اي من بُنطس وهي ولاية في شمال آسيا الصُغرى متاخمة للبحر الأسود، وهو تلميذ لواحد اسمه كردون، وكرودن سوري الأصل وقد أتى إلى روما في عهد هيجينوس تاسع أسقف منذ عهد الرسل، ونادى بأن الله الذي أعلنه الناموس والأنبياء ليس أبا ربنا يسوع المسيح، لأن الأول معروف والأخير غير معروف، الأول عادل والأخير صالح، أما ماركيون بدأ يُعلم بأن إله العهد القديم يختلف عن إله العهد الجديد مثل مُعلمه مع تطوير أفكاره وتوسيعها. لأنه يرى في نظره أن إله العهد القديم إله الغضب والنار، وهو إله مُخيف ومُرعب. وألقى ماركيون بالعهد القديم جانباً وكتب الكثير ضده مقاوماً كل ما فيه، هادماً كل قوامه وحصره في الغضب والانتقام بغرض إثبات بأن هذا ليس الله الذي نعرفه، وقد رفضته الكنيسة – في ذلك الزمان – لأنه لا يُريد ان يسمع وذلك في روما عام 144م، وتأثر القليلين بفكره وبدأوا في نشر أفكاره إذ مالوا نحوها حسب منطق تفكيره واستنتاجاته الخاصة، مع أن هذه الأفكار ابتدأت تنحصر وتنكمش وتُكاد أن تتلاشى بسبب كتابات القديس يوستينوس الشهيد مقاوماً هذه البدعة ببرهان الروح والقوة، ولكن في أواخر القرن التاسع عشر ظهر شخص يُدعى أدولف هارنك Adolph Harnack وأضاف الكثير إلى أفكار ماركيون Marcion الذي اعتبره أستاذاً له، وأخذت أفكاره في الهبوط والصعود مختلطة بأفكار فلاسفة تلك الفترة مثل هيجل وغيره...

وبالطبع ظهر الكثيرين وقد تعمقوا وتأصلوا في العهد القديم وأظهروا عمق ارتباطه بالعهد الجديد مؤكدين على وحدانية الله في العهدين وأنه إله واحد وليس إلهين، إله عهد قديم وإله عهد جديد، وأكثر من قاوم هذه البدعة بقوة الدراسة وعمقها هو العالم الكتابي بولتمان Bultman مؤكداً العلاقة الكبيرة بين العهدين الذي لا انفصال فيهما قط، وأكد على أن العهد القديم يُساعدنا علي فهم وإدراك نعمة الله في العهد الجديد، ولكي أتمكن من فهم العهد الجديد فهماً سليماً واعياً لا مناص من أن أدرس العهد القديم، كما أن العهد الجديد يوجد به نصوص عديدة منه تُعد تفسيراً واضحاً للعهد القديم .

لذلك كثيرين يترجمون آية يوحنا الرسول ترجمة خاطئة، فعوض أن يقولوا [ومن ملئه نحن جميعا أخذنا، ونعمة فوق نعمة] (يوحنا 1: 16) يقولون خطأ [ومن ملئه نحن جميعا أخذنا، نعمة عوضاً عن نعمة]، مع أن الآية في أصلها هنا تُشير للمتابعة وليس للانفصال، أي أن كل نعمة تأتي من ملء وتفيض ملء على ملء، لأن النعمة تمتد وتتدرج في الإعلان والعطايا، لأن مصدر النعمة واحد، هو الله الحي بشخصه في

كلا العهدين، ولكن في العهد الجديد الله ظهر في الجسد فظهرت قوة النعمة المُخلِّصة في قمتها حتى أنها فاضت بشدة من ملء الذي يملأ الكل، إذ يفيض بنعمته وتنسكب نعمة فوق نعمة، مثل البناء الذي يُبنى فيه طابق فوق طابق...

عموماً في المنهج الروحي السليم، فأن كل نعمة يحصل عليها الإنسان في المسيح ترفعه إلى نعمة أخرى أعلى مبنية على ما ناله من نعمة سابقة، ولا تترك نعمة ويُمسك في نعمة أخرى، وعلى مستوى العهد القديم فيه نعمة إعلان الله عن ذاته ووعده الذي قطعه بخلاص الإنسان، ونعمة تربية الإنسان وإعداد قلبه لظهور المُخلِّص حسب الوعد الإلهي، وتدرج الإنسان في العهد القديم من نعمة لنعمة بحسب الإيمان واستعلان الوعد وكشفه بالنبوات قليلاً قليلاً إلى أن أتى العهد الجديد بظهور مخلصنا الحبيب، ففاضت النعمة جداً وظهرت قوتها المستترة في العهد القديم في الابن الوحيد لتفيض على كل واحد وتعطيه من قوتها وتظل تفيض فيه وينال منها قوة على قوة ورفعة على رفعه وذلك كله يأتي من ملء المسيح الرب الحي [ومن ملئه نحن جميعا أخذنا، ونعمة فوق نعمة] (يوحنا 1: 16).

❖ أولاً: تسمية العهد القديم

تُطلق تسمية [العهد القديم] على الأسفار المقدسة من تكوين إلى ملاخي، وأول من أطلق هذه التسمية هو ميليتُس أسقف ساردس عام 170م في أواخر القرن الثاني الميلادي، أما عن تسمية [العهد الجديد] فقط أطلقها العلامة ترتليان عام 200م على الأناجيل والرسائل متضمناً أعمال الرسل وسفر الرؤيا، والمراجع الآبائية التي اعتمد عليها الآباء في هذه التسميات هي في [إرميا 31: 31 – 43، لوقا 22: 20، 1كورنثوس 11: 25، عبرانيين 8: 8 – 10]، ورجاء العودة لهذه الفقرات لأهميتها القصوى.

إلا أن التسمية في الأصل العبري للأسفار من تكوين إلى ملاخي هي: توراة – أنبياء – كتب (كتوبيم) كما سوف نرى فيما بعد من خلال دراستنا بالتدقيق. وهذه التسمية وهذا التقسيم نجده عند الرب يسوع [أنظر لوقا 24: 27، 44، 45]، أما القديس بولس الرسول – كما رأينا – أطلق على هذه الأسفار [الكتب المقدسة] (2تيموثاوس 3: 15، 16)، وأوضح الهدف منها في نفس الرسالة العدد 17: [لكي يكون إنسان الله كاملاً مُتأهباً لكل عمل صالح]، لأن من طبيعة الكتاب المقدس أن يُنشأ إيمان حي عديم الرياء يسكن في القلب بالتعليم (بحسب المعنى الذي رأيناه وشرحناه سابقاً)

- **ثانياً: قانونية الأسفار المقدسة**

يُعدّ القديس أثناسيوس الرسولي (القرن الرابع) أول من استخدم اللفظ [القانونية]، وهي المترجمة من الكلمة اليونانية κανών من أصل بابلي قديم وتعني عصا طويلة مستقيمة للقياس، وهي تعني قاعدة ثابتة، أو معيار للحكم، أو قائمة أو جدول، وتحمل معنى الثابت والراسخ الذي يُقاس عليه كل شيء، وقد خصها القديس أثناسيوس الرسولي بقائمة الأسفار التي اعترفت بها الكنيسة كوثائق للوحي الإلهي، لذلك تعبير (الأسفار القانونية) يقصد به الأسفار الموحى بها من الروح القدس بإعلان فائق، وهي نافعة للتعليم والتقويم وبناء النفس بناء قانوني صحيح حسب قصد الله الحي:

- وعندنا الكلمة النبوية وهي أثبت، التي تفعلون حسناً أن انتبهتم إليها كما إلى سراج مُنير في موضع مظلم، إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح في قلوبكم. عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص. لأنه لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان، بل تكلم أُناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس] (2بطرس 1: 19 – 21)

- **ثالثاً: التقسيم اليهودي للعهد القديم**

يُقسم اليهود الكتاب المقدس (العهد القديم) إلى ثلاثة أقسام رئيسية:
1 – **التوراة** (Torah): أسفار موسى الخمسة
2 – **الأنبياء** (نبيِّيمْ – nebi'im):
- (أ) الأنبياء الأولون: [يشوع – قضاة – صموئيل (كتاب واحد: الأول والثاني معاً) – الملوك (كتاب واحد: الأول والثاني معاً)]
- (ب) الأنبياء المتأخرون: الأنبياء الصغار (في سفرٍ واحد) والأنبياء الكبار [إشعياء – إرميا – حزقيال]

3 – **الكتابات** (كِتُوبيمْ – Ketubim):
(أ) المزامير – الأمثال – أيوب (وتُدعى الكتابات الأولى)
نشيد الأنشاد (أو نشيد الأناشيد) – راعوث – مراثي إرميا – الجامعة – أستير (وهي تُدعى المجيللوت أي الدروج)
(ب) دانيال – عزرا – نحميا – أخبار الأيام (الأول والثاني في كتاب واحد) وهي تُدعى الكُتب المتأخرة

ونجد أن الرب يسوع قد أشار لهذا التقسيم حيث قال: "هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم: أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عني في **ناموس موسى** (التوراة) و**الأنبياء** (نبييم) و**المزامير** (كتوبيم)" (لوقا 24: 44)، حيث أن المزامير هي النموذج المُمثل للقسم الثالث من العهد القديم.

والأسفار القانونية في اليهودية 24 سفراً. هذا إذا دمجنا صموئيل الأول مع صموئيل الثاني، ملوك أول مع ملوك ثاني، أخبار أول مع أخبار ثاني، وعزرا مع نحميا، واعتبرنا الأسفار الاثني عشر سفراً واحداً. غير أن مجموع الأسفار عند يوسيفوس المؤرخ اليهودي هو 22 سفراً إذا دُمِجَ راعوث بسفر القُضاة، ومراثي إرميا بسفر إرميا.
أما الترتيب المسيحي للكتب المقدسة فهو يتبع الترجمة السبعينية (الترجمة اليونانية للعهد القديم) والأسفار في الترجمة السبعينية تختلف في الترتيب والعناوين فقط.
أما في الكنائس التقليدية فهي تتضمن الأسفار القانونية الثانية وهي [طوبيا – يهوديت – تتممه أستير – الحكمة – يشوع ابن سيراخ – باروخ أو باروك – تتممه دانيال – المكابين الأول – المكابين الثاني – مزمور 151]

وترتيب الترجمة السبعينية ناجم عن موضوعات الأسفار واسلوب الكتابة (شعراً أو نثراً مثلاً) بالإضافة لحجم السفر، فبعض الأسفار المُسماة بأسفار تاريخية في السبعينية أطلق عليها اليهود أسفار الأنبياء الأول مثل [يشوع، قُضاة، صموئيل الأول والثاني؛ ملوك الأول والثاني] والتي تُعد امتداداً لقصة التوراة من موت موسى إلى السبي البابلي (فترة تزيد عن 6 قرون) من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس ق.م.
واستخدام اسم (أنبياء أولون) لهذه الأسفار يرجع إما لكاتبيها بوصفهم أنبياء أوائل، أو لأنها تتضمن تاريخاً عن حياة بعض أنبياء إسرائيل في وقت مبكر. وسفر راعوث يأتي بعد القضاة دليلاً على أنها حدثت زمن القضاة كما يقول كثير من الشُراح والمؤرخين (1200 – 1000 ق.م)، وأسفار: 1أخبار و2 أخبار وعزرا ونحميا وأستير، تُعدّ امتداداً للتاريخ الإسرائيلي أيام الحكم الفارسي.
وعناوين الأسفار في الكتب المقدسة العبرية عبارة عن كلمة أو كلمات افتتاحية للسفر مثل "في البدء" لسفر التكوين و "هذه أسماء " لسفر الخروج ... الخ؛ كما سوف نرى في مقدمة عن أسفار موسى الخمسة، أما العناوين المسيحية فهي بحسب الترجمة السبعينية لتصف مضمون السفر. الكاتب أو الشخصية الرئيسية التي يتحدث عنها السفر.

- **1: ما هي أسفار موسى الخمسة ؟**

هي الخمسة الأسفار الأولى من الكتاب المقدس وكان يطلق عليها اليهود [خمسة أخماس الشريعة] كما يدعونها بالعبرية תּוֹרָה – Torah – توراة؛ وقد تُرجمت هذه الكلمة إلى عده معاني: [اتجاه – تعليم – ناموس – شريعة – وصية – يُرشد – يُعلِّم]، ولكن في أغلب المواضع في الكتاب المقدس أتت بمعنى [ناموس] وأيضاً [شرائع وأحكام]، وبالطبع لم يقتصر معناها على الشرائع والأحكام، وإنما امتد المعنى ليشمل كل ما يختص بعلاقة الله في عهده مع إسرائيل، وهي النقطة الهامة والركيزة الأساسية لأسفار موسى الخمسة، ولا بد أن تُقرأ على هذا الأساس ...
ولذلك فرغم من أن الاسم [التوراة] كان يُستخدم أصلاً للدلالة على أسفار موسى الخمسة، لِما بينها من رِباط داخلي موضوعي يجعل منها وحدة واحدة، ولكونها تتمركز حول الشريعة السماوية (الكلمات العشرة) التي تسلَّمها موسى النبي من يد الله كبنود عهد، إلاَّ أن هذا الاسم (التوراة) كثيراً ما يُعَمَّم على كل أسفار العهد القديم، بسبب اشتراكها جميعاً في نفس ذات الهدف النهائي للأسفار الخمسة، فالأسفار الخمسة تعتبر الركيزة أو نواة العهد القديم كله.

- **2: تسمية الأسفار الأولى – التوراة**

أولاً بالنسبة للتقليد اليوناني والترجمة السبعينية: سُميت الأسفار الأولى بالأسفار الخمسة مأخوذة من الاسم الذي أُطلق عليها في الترجمة السبعينية باللغة اليونانية [ἡ πεντάτευχος – Pentateuch] بنتاتيوك، كما أن أسماءها مترجمة من اليونانية وهي تُشير إلى محتوياتها:

- فيُدعى **السفر الأول**: **التكوين** = **Γένεσις = Genesis**، لأنه يُخبرنا عن بداية كل الأشياء في بدء تكوينها ومصدر وجودها.
- **والسفر الثاني**: **الخروج** = **Ἔξοδος = Exodus**، وهو يدور حول خروج بني إسرائيل من أرض مصر وإبرام العهد معهم وتسليم بنود العهد والشريعة على جبل حوريب في سيناء.
- **والسفر الثالث**: **اللاويين** = **Λευιτικός = Leviticus**، أو سفر الأحبار، وهو يشرح بدقة العبادة ودور سبط لاوي – سبط الكهنة – في العبادة وتقديم الذبائح لغرض تقديس شعب الله.
- **والسفر الرابع**: **العدد** = **Ἀριθμοί = Numbers**، وهو اسم غير دقيق للسفر وهو يُشير في الترجمة اليونانية السبعينية إلى عدد الأسباط وإحصاءاتها، مع أن ليس هذا هو هدف السفر الرئيسي كما سوف نرى حينما نضع إيجازاً عن السفر وتقسيمه.
- **والسفر الخامس**: **التثنية** = **Δευτερονόμιον = Deuteronomy**، وهو سفر يتم تكرار فيه الشريعة على مسامع الشعب في ثلاثة خطابات لموسى النبي وهو سفر تعليمي يُركز على خبرة بني إسرائيل وحفر التعليم في قلوبهم لحفظ العهد مع الله بأمانة، بغرض ضمان بقائهم وثبات أقدامهم في الأرض التي وعدهم الله بها.

ثانياً بالنسبة للتقليد العبري والترجمة العبرية: فهو يكتفي عموماً بتسمية كل سفر من هذه الأسفار الخمسة الأولى بأول كلمة عبرية يبدأ بها أو تتضمنها الآية الأولى منه، لأنها في الأساس والأصل تُعبَّر عن السفر ككل ومضمونه:

- فسفر **التكوين** يُدعى = **بيراشيت** = **בְּרֵאשִׁית** = Bereshith = في البدء
- وسفر **الخروج** يُدعى = **واليه شيموت** = **וְאֵלֶּה שְׁמוֹת** = We'eleh shemoth = وهذه أسماء
- وسفر **اللاويين** يُدعى = **وايقرا** = **וַיִּקְרָא** = Wayiqra = ودَعاَ
- وسفر **العدد** يُدعى = **بميدبار** = **בְּמִדְבַּר** = Bemidbar = في البرية
- وسفر **التثنية** يُدعى = **إليه هدبريم** = **אֵלֶּה הַדְּבָרִים** = Eleh hadbarim = هذا هو الكلام أو هذه الكلمات أو هذا كلام

ورغم أهمية الأحداث التي احتوتها هذه الأسفار التي قام على أساسها كل لاهوت الفداء والخلاص، إلا أنه ما زالت الشريعة التي أعطاها الله لبني إسرائيل على يد موسى النبي هي محور هذه الأسفار المقدسة التي على أساسها يتعين ويتحدد موقف كل واحد من الله، وتظهر مُعاملات الله مع هذا الشعب المختار والمصير الذي سيؤول إليه.

❖ رابعاً: الرسالة الروحية لأسفار موسى الخمسة
ἡ πεντάτευχος – Pentateuch – بنتاتيوك ؛ توراة – Torah – תּוֹרָה

يلزمنا أن نعرف أن الخمسة الأسفار الأولى في العهد القديم، هي نواة وقاعدة الكتاب المقدس التي على أساسها يقوم كل ما أُوحى به فيما بعد، لأنها تتضمن جوهر الإعلانات الإلهية وتوضح مقاصد الله وتدبيره وعظمة صلاحه، وهذه الأسفار الخمسة تُمثل الأساس الثابت للفهم الصحيح لسائر الأسفار المقدسة، لذلك نجدها تحتل المكانة الأولى في التقليد اليهودي وصارت لهم ناموسهم الأول، وهي بالتالي مهمة للغاية لكل مسيحي يُريد أن يتعرف على مشيئة الله ويفهم قصده الصالح ويدخل في سرّ تدبيره، وذلك لأن هذه الأسفار المقدسة نواة الكتاب المقدس، وهي تُعتبر سجل تاريخي لإعلان الله عن ذاته وطبيعته والتي تقابلها استجابة الإنسان، ولكنها تُعلن دائماً عن فشل الإنسان في تحقيق مقاصد الله فيه، ومقابل هذا الفشل تظهر قدرة الله ورحمته وعظيم خلاصه.

عموماً نستطيع أن نقول أن عدم قراءة وفهم الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس تُسبب قصور في فهم باقي الأسفار المقدسة وحتى العهد الجديد ذاته، لأن الكتاب المقدس وحدة واحدة متكاملة ومتراصة، وأسفار موسى الخمسة هي بداية كل الأسفار وتحمل مضمونها فيها، فالأسفار الخمسة موضوعها متصل اتصالاً وثيقاً بسائر أسفار العهد القديم كله، وركيزتها أو محورها الرئيسي هو العهد، عهد الله مع شعب اختاره ليكون شعباً خاصاً به ويظهر به ذاته أمام العالم كله، ومن هنا نجد أن الأسفار الأولى تحدثنا عن بداية هذا العهد ولكنها لا تتضمن تحقيقه، وتُختتم أحداثها قبل دخول أرض الميعاد في سفر التثنية.

ولكن حتى بعد كمال الانتصار ودخول الأرض التي وعد الله بها أنبياءه القديسين وحققها على يد يشوع بعد موسى، فمازال الوعد لم يتحقق بعد في كمال قصد الله، لأنه لا يكمُل إلا في المسيح وفي عهد جديد ووصية جديدة تحمل في داخلها كل وصية، مع العلم أن العهد عهد واحد، لأنه لا يوجد عهدان، ولكن العهد القديم سُميَّ بالقديم لأنه كان رمزاً ومثالاً لتحقيق العهد في المسيح، ومتى جاء الكامل ابن الله الحي جدد العهد محققاً إياه في كماله فصار عهداً جديداً، أو عهد تجديد مستمر نعيشه وننمو فيه باستمرار وبلا توقف!!!

عموماً ممكن أن نفهم موضوع الأسفار الخمسة عن طريق قانون صغير كان مُحتماً على الإسرائيلي أن يتلوه عند تقديمه بكور غلاله الزراعية في الهيكل أمام الله الحي فيقول الآتي:

[آرامياً تائهاً كان أبي فانحدر إلى مصر وتغرَّب هُناك في نفر قليل فصار هناك أُمة كبيرة وعظيمة وكثيرة، فأساء إلينا المصريون وثقَّلوا علينا وجعلوا علينا عبودية قاسية. فلما صرخنا إلى الرب إله آباءنا سمع الرب صوتنا ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا. فأخرجنا الرب من مصر بيدٍ شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب. وأدخلنا هذا المكان وأعطانا هذه الأرض أرضاً تفيض لبناً وعسلاً. فالآن هأنذا قد أتيت بأول ثمر الأرض التي أعطيتني يا رب] (تثنية 26: 5 – 10)

+ وهذا القانون الإيماني الحي هو بمثابة اعتراف بنعمة الله وفضله وعظيم خلاصه وإنقاذه لشعبه.

عموماً نقدر أن نلخص هذه الأسفار ونقول عنها أنها تُعبَّر عن (الخلق – السقوط – الوعد بالخلاص) الذي تحقق جزئياً بالرمز، وهذا هو محورها الرئيسي والذي يجعلنا نفهم ونستوعب أسرار الله المعلنة فيها وفي باقي الأسفار الإلهية:

في التكوين نجد أنه يُعلن أن الله مصدر الخليقة كلها، وأنه أبدع الكون كله في أروع وأجمل صورة ورأى أن كل ما صنعه فيه حسنٌ جداً، والهدف من خلق الكون هو أن يكون للإنسان، الإنسان الذي أبدعه أيضاً على صورته كشبهه ليكون مثالاً له، لكي يكون هو وحده أيقونة الله على الأرض ويسود على كل الخليقة ويرعاها ويرفعها لله بالشكر نائباً عنها أمام جلاله، والهدف من خلق الإنسان هو أن يحيا في جو المحبة والشركة مع الله ويمجده في الخليقة...
وحينما سقط الإنسان وكسر وصية الله المُحب لم يترك الله الإنسان بل أعطاه وعد الخلاص الذي سيتم بنسل المرأة الذي سيسحق رأس الحية أي إبليس...

وأيضاً وضح السفر تفاقم الشرّ الذي بدأ البشر يخترعونه ويتفننون فيه على كل شكل ولون، والذي تسبب في الطوفان لإبادة كل حي، وقد اختار الله نوحاً من أجل تجديد الأرض وأقام معهُ ميثاق أو عهد بأنه لا يعود يهلك الأرض ثانية بالطوفان.

ثم اختار الله إبراهيم وإسحق ويعقوب، الذين وهبت لهم ولنسلهم من بعدهم المواعيد، بل وللبشرية كلها في المسيح يسوع مُخلصنا الذي أتى من نسلهم لأنهم ماتوا جميعاً [وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيَّوها وأقروا بأنهم غُرباء ونُزلاء على الأرض] (عبرانيين 11: 13)
فدعوة إبراهيم هي في الحقيقة تتضمن اختيار الله لإسرائيل وتدبيره المُقبل لخلاص الإنسان عموماً، وهو منهج تعليمي حي لكل إنسان، فالله أولاً دعا إبراهيم أن يخرج من عشيرته وأرضه إلى المكان الذي يُريه (وهي نفس دعوة إسرائيل من الخروج من أرض مصر بقوة الله)، (وهي أيضاً دعوة لكل إنسان يُريد أن يعيش مع الله وهو الخروج من أرض الخطية والعبودية بقوة الله إلى الأرض السماوية والسيرة الروحانية)، ثم بعد ذلك رباه وأدبهُ الله في الإيمان، وامتحن إيمانه بتقديم ابنه الوحيد الذي قبل فيه المواعيد، ففاز إبراهيم لأنه أطاع الله للموت بتخليه عن أبوته، وتفضيله أن يطيع الله أكثر من أي شيءٌ آخر، مقدماً أعز ما لديه من أجل محبته له وثقته الشديدة فيه والتي صارت أعظم من غريزة الأبوة ومشاعره وأحاسيسه العاطفية، وهي توضح لنا كيف يكون الإنسان المسيحي الحي بالله وكيف يسلك في الطريق الإلهي حسب مقاصد الله ويفهم قول الرب [أن أحب أحد أباً أو أماً أو أبناً أو بنتاً أكثر مني فلا يستحقني]، وهذا ما أعلنه الله في سفر التثنية [حب الرب إلهك من كل فكرك ونفسك وقوتك] وهذا هو نفسه قول الرب في الأناجيل، وأعظم مثال لنا هو إبراهيم أب الآباء.

عموماً نستطيع أن نخرج بنتيجة هامة للغاية وهي أن الأسفار الخمسة هي كتاب العهد والميثاق التي أقامه الله مع الإنسان في شخص آدم ونوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب وشعب إسرائيل، ولا زال الإنسان يتقبل من هذه العهود عطايا الله ومواهبه التي بلا ندامة، والعهد هو مصدر كل عطية مجانية بمبادرة إلهية مقدمة من الله للإنسان، أي هو فعل نعمة ثابت نابع من محبة الله بلا مُقابل ولا استحقاق سابق، والله لا يطلب في مقابل هذا العهد الذي من خلاله تُصب عطاياه المجانية سوى الطاعة وحدها مع الإخلاص. والناموس وكل القوانين والكلمات والخبرات والهبات التي يُعطيها الله مقابل العهد هو توضيح لمقاصده الإلهية وإعداد الطريق لتحقيق الوعد.

عموماً لن أستطيع أن أكتب بالتفصيل الخط العام لهذه الأسفار المقدسة البهية والتي فيها يتضح محور حياتنا وطريق خلاصنا، ولكن وضعت الخط العام لها أمام كل واحد يُريد أن يفهمها حسب الإطار الخلاصي التي وضعت فيه، فمن يفهم هذه الأسفار الأولى بروح العهد الجديد، فأنه بسهولة يقدر أن يستوعب سرّ باقي الأسرار ويدخل في السيرة الروحانية بوعي وتدقيق ليأخذ ويشبع ويعيش ويحيا بأنفاس الله فاهماً مشيئته وعظمة خلاصه المجاني لكل واحد...